اسم الدرس : سورة الفاتحة - الدرس الأول

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهلًا بكم أحبائي في برنامج "آيات تُتلى – الموسم الثاني". الفكرة الرئيسية لهذا البرنامج بفضل الله سبحانه وتعالى أننا نتعرض إلى بعض آيات القرآن بصورة متكررة –فهي تتكرر كثيرًا على مسامعنا– لكن على الرغم من أن هذا التكرار يُعدّ ميزةً ويثير معانٍ داخل القلب وداخل النفس والعقل؛ إلا إنه قد يُحدث للإنسان أحيانًا نوعًا من إلف العادة. وعلى سبيل المثال: نحن عندما نؤدي في رمضان صلاة التراويح نقول (الله أكبر) ثم ننتظر السورة التي سوف يقرؤها الإمام ونتجاوز سورة الفاتحة! أو مثلًا: الذي يصلي فجر الجمعة في المسجد، يجد تكرار لسورة السجدة وسورة الإنسان، أو سورة الأعلى وسورة الغاشية، أو سورة الكهف وسورة الجمعة. وقد فكرنا بفضل الله على موقع "الطريق إلى الله" في الكيفية التي نُعيد بها هذه المعاني إلى أذهاننا مرة أخرى. فالمعاني الإيمانية المبثوثة في هذه السور التي تُكرّر كثيرًا حتمًا لها سر، وعندما يُسَن لنا أن نكررها، فهذا يعني أنه لا بدّ أن يكون لها معنىً. إذ ليس من المعقول أن الله سبحانه وتعالى جعلنا نقرأ سورة الفاتحة، أو سورة السجدة، أو سورة الأعلى هكذا عبثًا! لا بدّ أن يكون بها معانٍ من المهم أن يكررها الإنسان. كما في حالة التكرار في الأذكار، مثل: "سبحان الله وبحمده" مائة مرةٍ، "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" مائة مرةٍ، فمن المؤكد أن بها معانٍ مهمة لا بد للإنسان أن يراجعها، ومن دون هذه المعاني قد يضيع الإنسان، وينسى معانٍ محورية في الشريعة.

وسنشرح إن شاء الله في هذا الموسم سورة الفاتحة، وهي سورة عظيمة يتهيّب الإنسان أن يتكلّم فيها، لكننا سنذكر مقتطفاتٍ سريعة عن هذه السورة في حلقتين متتاليتين.

سورة الفاتحة كُتِبت فيها كُتب كثيرة، فقال بعض العلماء: "إنها أكثر سورةٍ كُتِبت فيها كُتب ومؤلفات وشروحات"، وقيل: "أطول ما كُتِب كان في سورة الفاتحة"، وبعضهم قال: سورة يوسف، وبعضهم قال: سورة الكهف، لأن هذه السور تُكرّر كثيرًا وقد كتب العلماء فيها الكثير. لكن عند العد –وخاصة إذا أخذنا في الحسبان رسائل "الدكتوراه" و"الماجيستير"، وما كُتب في الهدايات ومعاني الإيمان– نجد أنّ سورة الفاتحة قد كُتب فيها الكثير. وسنذكر في نهاية السلسلة بعض هذه المراجع.

وكان العلماء عندما يشرعون في التفسير يستفتحون بسورة الفاتحة. ودائمًا في البداية لا يكون المفسر قد تعب بعد من طول التفسير، لذلك فهو يكتب باستفاضة في سورة الفاتحة، فالإمام الرازي قال: إن لديه ألف مسألةٍ في سورة الفاتحة، أي: لديه في سورة الفاتحة تساؤلات وتدبرات، أو إشكاليات يبحث لها عن حل، أو هدايات قد تصل إلى ألف فائدة! فسورة الفاتحة سورة عظيمة!

وهنا قد يُطرح تساؤل عن التخصيص الذي ورد في سورة الفاتحة، هل كان اجتهادًا من العلماء، بحيث أنهم اختاروا سورةً معينة وركزوا عليها وكتبوا فيها التفاسير الكثيرة؟ أم أنّ الشارع هو مَنْ وضع لنا هذه الخصوصية؟

فيما يتعلق بالقرآن لدينا ما يسمى بـ"خواص السور"، وهناك بعض الكتب التي استفاضت في ذلك –من الممكن الرجوع إليها–، منها كتاب "خواص القرآن الكريم"، إضافة إلى الكتب التي بعنوان "الأحاديث والآثار الواردة في فضائل السور" وهناك أكثر من كتاب بهذا العنوان. فنحن لا نجتهد تبعًا للهوى، وعندما نقول بأن نقرأ سورة السجدة فجر الجمعة، ونقول بقراءة سورة الكهف كل أسبوع، كل ذلك ليس وفقًا لهوانا، بل هو بأمرٍ من النبي صلى الله عليه وسلم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو مَن قال في سورة الفاتحة: إنها (أعظم سورة في القرآن)[1]، والعلماء الذين تتبعوا تلك الأحاديث التي وردت فيها عبارة "أعظم سورة في القرآن"، وجدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر هذا المعنى لأكثر من صحابي. فبعضهم قال إنه كان لأبي سعيد بن المعلَّى، وبعضهم قال إنه كان لأبي بن كعب، وهناك رواية عن أنس، ورواية عن جابر، وبعضهم عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وقد ذكر ابن حجر أنّ هذا الأمر حدث مع أكثر من صحابي، بل إنّ الموقف نفسه – تقريبًا– قد تكرر مع صحابيين اثنين، حيث ذكر ابن حجر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسًا في المسجد ونادى صحابيًا –وكان يريد أن يقدّم له هدية–، فقال للصحابي: (لأُخبرنَّك قبل أن تخرج من المسجد بأعظم سورة في كتاب الله)، فالصحابي إذًا سوف يعرف أعظم سورة في القرآن! تخيل لو كنت مكان هذا الصحابي تفكر بماهية هذه السورة!، هل هي سورة البقرة لأنها مائتان وست وثمانون آية؟، أم سورة بها سجدتين مثل سورة الحج –كما عند حفص–؟، أم سورة تبدأ بحمد الله مثل سورة الأنعام؟ فتظل تفكر كما فكر الصحابي! وهذا الموقف تكرّر مع أبي سعيد، ومع أُبي بن كعب، وبعد ذلك ظل النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه، ووضع كَفهِ في كفه حتى أوشكا على الخروج من المسجد، والصحابي ينتظر الجواب، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له بأنه سوف يخبره بذلك قبل الخروج من المسجد، فذكّر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يخبره بأعظم سورة بعد، فقال لأبي سعيد في رواية: (أعظم سورة في كتاب الله سورة الفاتحة، أُم الكتاب، السبع المثاني)[2] ، وفي رواية أبي بن كعب قال له : (والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا الفُرقان مثلها)[3]. فهو سوف يخبره بسورة لم توجد في أي كتاب سماوي! فهي أعظم سورة مطلقًا!

---

[1] عن أبي سعيد بن المعلى: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعانِي النبيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قالَ: ألَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ؟، ثُمَّ قالَ: ألا أُعَلِّمُكَ أعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فأخَذَ بيَدِي، فَلَمّا أرَدْنا أنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ قالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ، هي السَّبْعُ المَثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٠٠٦ • صحيح •

[2] سبق تخريجه في هامش رقم (١)

٣ عن أبي هريرة: أن رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ على أُبَيّ بن كعبٍ فقال رسولُ اللهِ ﷺ يا أبي – وهو يُصلي – فالتفتَ أُبَيّ فلمْ يُجِبْه، وصلّى أُبَيّ فخفّفَ. ثم انصرفَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ: وعليكَ السلامُ ما منعكَ يا أُبَيّ أن تجيبَني إذ دعوتكَ؟ فقال: يا رسولَ اللهِ إني كنتُ في الصلاةِ، قال: أفلم تجدْ فيما أوحى اللهُ إليّ أن اسْتَجِيبُواْ لِلهِ وللرّسُولِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحيِيكُمْ؟ قال: بلى، ولا أعودُ إن شاءَ اللهُ. قال: أتحبُّ أن أعلّمكَ سورةً لم ينزلْ في التوراةِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزبورِ، ولا في القرآنِ مثلُها؟ قال: نعم يا

وقد جمع بعض العلماء الأسماء التي قيلت في سورة الفاتحة، ووصل عددها إلى أكثر من عشرين اسمًا، كما عند الإمام السيوطي في "الإتقان"، وبعضهم أوصلها إلى ثلاثين أو أكثر، كما في "بصائر ذوي التمييز"، وكان العرب دائمًا يقولون إن الشيء الذي يأخذ أسماءً كثيرة يكون شيئًا مهمًا. فتخيل أهمية سورة الفاتحة حينما يخصها الله سبحانه وتعالى بأسماءٍ كثيرة، سواء كانت واردةً عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو ذكرها الله تعالى في القرآن، أو وردت عن بعض الصحابة، أو حتى كانت اجتهادًا.

فقد ورد بأنها أم الكتاب، والرقية، وبأنها شفاء، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي)[٤]، وقال العلماء – كالإمام النووي–: بأن المقصود بالصلاة هنا هو سورة الفاتحة.

وعند الحديث عن سورة الفاتحة سنقسّم الكلام إلى جزأين:

جزء عن الفضائل –وهو جزء كبير يحتاج لحلقات، لكننا سنحاول اختصاره–، وجزء عن المعاني –وأُحيل بجانب ذلك إلى الرجوع إلى كتب الإمام ابن كثير، والمختصر في التفسير–.

وعند قراءتك لتفسير ابن كثير تجد أنه أفرد مجموعة أحاديث كثيرة عن فضائل سورة الفاتحة قبل أن يدخل في تفسيرها، كذلك كتاب "خواص القرآن الكريم" جمع في فصلٍ طويلٍ ما يقرب من ثلاثة عشر حديثًا صحيحًا في فضائل سورة الفاتحة، بالإضافة إلى بعض الآثار الصحيحة أيضًا، ثم شرحها شرحًا مبسطًا، وبجانب كل حديث أخذ يفصل فيهم. فالكتب كثيرة التي كتبت في فضائل سورة الفاتحة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنها أم الكتاب)[٥]. ما يعني بـ(أُم الكتاب)؟

رسولَ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: كيفَ تقرأُ في الصلاةِ؟ قال: فقرأ أمّ القرآنِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: والذي نفسي بيدِهِ ما أنزلتْ في التوراةِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزبورِ، ولا في الفرقانِ مثلها. وإنها سبعٌ من المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أُعْطيتهُ.

الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٢٨٧٥ •حسن صحيح •

[٤] عن أبي هريرة: مَن صَلّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تَمامٍ. فقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إنّا نَكُونُ وراءَ الإمامِ؟ فقالَ: اقْرَأْ بها في نَفْسِكَ؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: قالَ اللَّهُ تَعالى :قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ}، قالَ اللَّهُ تَعالى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قالَ اللَّهُ تَعالى: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قال: {مالِكِ يَومِ الدِّينِ}، قالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وقالَ مَرَّةً فَوَّضَ إلَيَّ عَبْدِي، فإذا قالَ: {إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ} قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ: {اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عليهم غيرِ المَغْضُوبِ عليهم ولا الضّالِّينَ} قالَ: هذا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي ما سَأَلَ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٣٩٥ • صحيح •

[٥] عن أبي هريرة: الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ القرآنِ، وأُمُّ الكتابِ، والسَّبْعُ المَثانِي.

الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٣١٢٤ •حسن صحيح •أخرجه أحمد(٩٧٩٠)،والدارمي(٣٤١٧)، وأخرجه البخاري(٤٧٠٤) بنحوه.

والأم: بمعنى الأصل، فقبل أن تقرأ في المصحف تريد فهرسًا أو مراجعة سريعة، أو تريد أن تعرف مُجمل المعاني التي يتكلم عنها هذا الكتاب -على فرض أن هناك شخصًا لا يبحث عن الهدى، وهو يُقبل على القرآن وكل هدفه طموح دنيوي، ويبحث عن الشهوات-، فإن الله سبحانه وتعالى يخبرك بأنّ هذه الآيات السبع التي هي سورة الفاتحة، هي ملخص مُجمل لما في القرآن من معانٍ، وإذا كنت لا تهتم بالمعاني التي في سورة الفاتحة، فأنت إذًا لا تهتم بالقرآن، لأنّ المعاني التي ذُكرت مُجملةً في سورة الفاتحة ذُكرت مفصَّلةً في القرآن.

وقد أعجبني جدًا اسم أحد الكتب التي تكلمت عن الفاتحة، واسمه "الإسلام في سبع آيات"، وبالفعل قمنا بمحاضرة مع موقع "الطريق إلى الله" كانت بعنوان "مركزيات الوحي"، حاولنا فيها شرح وتوضيح المعاني التي يتكلم عنها الوحي مُجملًا في سورة الفاتحة.

إذًا؛ أول معنى مهم نخرج به هو أن سورة الفاتحة فيها مُجمل ما ذُكر في القرآن، بل وقال بعضهم: "مُجمل ما ذُكر في كل الكتب السماوية من قبل"، أي إذا كنت تريد ملخصًا لما يريده الله سبحانه وتعالى من عباده فهو موجود في سورة الفاتحة.

إذًا فهي مهمة لدرجة كبيرة، فهي أم الكتاب والسبع المثاني -سبع آيات-. ولكن ما معنى **(مثاني)**؟ قال بعض العلماء أي أن فيها الثناء على الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يحب الحمد والمدح -كما سيأتي في شرح {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة: ٢]-. وقال بعضهم: "السبع المثاني" من التثنية، أي أنها تُكرّر؛ فهي السورة الوحيدة التي يجب أن تقرأها في كل ركعة ومن دونها تبطل الركعة وتبطل الصلاة، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل صلاةٍ لا يُقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج)[٦]، بمعنى أنها ناقصة، أي أن حياتك من دون الفاتحة حياة ناقصة، وصلاتك من دونها صلاة ناقصة، وطريق الوصول إلى الله من دون الفاتحة طريق ناقص.

فهناك معانٍ هامة إن لم تستفدها من سورة الفاتحة فأنت لن تصل إلى الله سبحانه وتعالى، وسيكون طريقك ناقصًا، مثلما قد تجد أحيانًا طريقًا ممهدةً ثم تنقطع فجأة ولا تكتمل، فمن دون سورة الفاتحة ومعانيها يكون طريقك مقطوعًا، وقد ورد في الحديث -وإن كان في سنده ضعف لكنه مشهور بين أهل العلم ويبدؤون به الكثير من كتبهم- أنّ: (أي شيءٍ لا يُبدأ باسم الله فهو أبتر)[٧]، فكل عملٍ تبدؤه دون ذكر اسم الله يكون أبترًا وناقصًا، وحياتك من دون الفاتحة حياة مبتورة مقطوعة ناقصة.

---

٦ عن أبي هريرة: مَن صَلّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بفاتِحَةِ الكِتابِ، فَهي خِداجٌ يقولُها ثَلاثًا بمِثْلِ حَديثِهِمْ. / مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٣٩٥ • صحيح •

٧ عن أبي هريرة: كلُّ كلامٍ، أو أمرٍ ذي بالٍ لا يُفتَحُ بذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ فَهوَ أبترُ أو قالَ: أقطعُ

أحمد شاكر (ت ١٣٧٧)، مسند أحمد ٢٩٠/١٦ • إسناده صحيح •أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٢٨)، وابن ماجه (١٨٩٤) بنحوه، وأحمد (٨٧١٢) واللفظ له.

ولكل اسم من أسماء سورة الفاتحة معنىً خاصًا، وشرحت منها: أم الكتاب: لأنها الأصل والمرجع. والسبع المثاني: لأنها تُكرّر. أما معنى حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي) فسنتكلم عنه بينما نشرح آيات السورة.

ومن أسمائها كذلك: أن سورة الفاتحة رُقية، وقد يعتقد المرء أنها رُقية –مثلًا– عندما ترتفع حرارته أو تؤلمه بطنه، لكنك عندما ترى الحديثين المذكورين في كتب الفضائل، والوارد فيهما أن سورة الفاتحة رُقية، تجد في (الحديث الأول)[٨] أنّ الصحابي –قيل أنه أبي سعيد الخُدري– كان يرقي شخصًا لديغًا؛ أي لدغه عقرب وسار السُم في جسده، وفي (الحديث الثاني)[٩] –في بعض الروايات– قيل أن المرقى كان معتوهًا مجنونًا، وقيل: مسه الجن، وقيل –في رواية حسنها الشيخ الألباني– أنه كان موثقًا بالحديد. والطب اليوم قد لا يجد حلًا لمثل هؤلاء! والمعتوه قد ذهب إلى الصحابي، فقرأ عليه الفاتحة فقام، واللديغ قُرئت عليه الفاتحة، فقام وكأنما نشط من عقال.

إذًا؛ فالفاتحة تُزيل أثر السُم من البدن!، وتُعيد العقل للإنسان! وإذا كان هذا أثرها الحسي فما بالك بأثرها المعنوي!

وقد كتب ابن القيم –رحمه الله– في كتاب "زاد المعاد" عن أثر سورة الفاتحة في أربع أو خمس صفحات، وهو كلام مُبهر ورائع –حبذا أن تقرؤونه–، فإن كان أثر الفاتحة قد أزال السموم من الجسد، فما بالك بأثرها في إزالة الشهوات والشبهات، وقال: "لا يُقبِل على الفاتحة أحد إلا وصُرفت عنه كل بدعة، وصُرِف عنه كل شهوة" ولكن الإشكال فينا نحن! فسورة الفاتحة كما هي لم تتغير {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر: ٩]، لكن الإشكال يكمن فيمن يقرأ الفاتحة، وفي تعاملنا نحن مع سورة الفاتحة.

---

٨ عن أبي سعيد الخدري: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعَثَ سَريَّةً عليها أبو سَعيدٍ، فمَرَّ بقَريةٍ، فإذا ملِكُ القَريةِ لَديغٌ، فسَألْناهم طَعامًا فلمْ يُطعِمونا ولم يُنزِلونا، فمَرَّ بنا رَجُلٌ من أهلِ القَريةِ، فقال: يا مَعشَرَ العَرَبِ، هل منكم أحدٌ يُحسِنُ أنْ يَرقيَ؟ إنَّ المَلِكَ يَموتُ، قال أبو سَعيدٍ: فأتَيتُه فقَرأْتُ عليه فاتحةَ الكِتابِ؛ فأفاقَ وبَرَأَ، فبعَثَ إلينا بالنُّزُلِ وبعَثَ إلينا بالشّاءِ، فأكَلْنا الطَّعامَ أنا وأصحابي، وأبَوْا أنْ يَأكُلوا منَ الغَنَمِ حتى أتَيْنا رسولَ اللهِ ﷺ فأخبَرْتُه الخَبَرَ، فقال: وما يُدريكَ أنَّها رُقْيةٌ؟ قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، شيءٌ أُلقِيَ في رُوعي، قال: فكُلوا، وأطعِمونا منَ الغَنَمِ.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج سنن الدارقطني ٣٠٣٧ •صحيح •

٩ عن علاقة بن صحار التميمي: أقبَلْنا من عندِ رسولِ اللهِ ﷺ، فأتَيْنا على حَيٍّ من العَرَبِ، فقالوا: إنا أُنبِئْنا أنكم قد جئتُم من عندِ هذا الرجُلِ بخيرٍ، فهل عندَكم من دواءٍ أو رُقْيةٍ، فإنَّ عندَنا مَعْتوهًا في القيودِ؟ قال: فقُلْنا: نعَمْ، قال: فجاؤوا بمَعْتوهٍ في القيودِ، قال: فقرأتُ عليه فاتحةَ الكتابِ ثلاثةَ أيامٍ غُدْوةً وعَشِيَّةً، أجمَعُ بُزاقي ثم أتفُلُ، فكأنَّما أُنشِطَ من عِقالٍ، فأعطَوْني جُعْلًا، فقلتُ: لا، حتى أسألَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: كُلْ، فلَعَمْري مَن أكَلَ برُقْيةِ باطلٍ؛ لقد أكَلتَ برُقْيةِ حقٍّ.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج سنن أبي داود ٣٩٠١ •إسناده صحيح.

هذه كانت لمحة سريعة عن الفضائل التي ذُكرت في سورة الفاتحة، ويكفي أنها أعظم سورة في كتاب الله، وليس في القرآن ولا التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور مثلها، وأنها أم الكتاب، والسبع المثاني، وأنها رُقية، وسُميت بالصلاة (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي). وهناك أسماء كثيرة أخرى وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى، أو عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي آثار عن الصحابة.

قال الله سبحانه وتعالى:

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة: ١]، وهناك خلاف مذكور في كتب التفسير في كون البسملة آية من سورة الفاتحة أم لا.

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة: ١-٣]

أنت تستفتح المصحف بسورة الفاتحة، فهي النجاة وبدونها ليس لك صلاة، وبدونها ليس لك وصول إلى الله سبحانه وتعالى، هي أم الكتاب!

وسورة الفاتحة تحتاج إلى تركيز لأنها سورة مُجملة؛ فكل القرآن التفصيلي الذي ذُكر في القرآن مُجملٌ ومركَّز في آياتها السبع. وكذلك المركزيات، والمعاني الأساسية المبثوثة في القرآن موجودة في سورة الفاتحة، لذلك ففي كل ركعة وقبل أن تقرأ أيّة آيةٍ أو سورة؛ تقرأ أولًا سورة الفاتحة، فتراجع المجمل أولًا، ثم تختار معنىً تفصيليًا من المعاني التي وردت في القرآن لتقرأه بعد الفاتحة.

إذًا، نحن نريد أن نعيش مع سورة الفاتحة، لأنّها سورة نكررها كثيرًا، وفي كل ركعة، لكن -للأسف- فإننا على الرغم من هذا التكرار لا ننتبه إلا مع كلمة "آمين"، ثم ننتقل إلى السورة التي تليها، بل أحيانًا قد نسهو في الصلاة وننسى إن كنا قرأناها أم لا، ونكون بالفعل قد قرأناها!، ولكن تأتينا هذه الوسوسة لأن لساننا قد اعتاد على قراءتها فلم نعد نشعر بمعانيها، ولا بقيمة طلب {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة: ٦]. لذلك فإننا نريد أن نفتح بعض الآفاق مع هذه المعاني حتى نعيش مع هذه المعاني كلما كررنا هذه السورة.

قال الله سبحانه وتعالى: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة: ١] هذه الباء باء مصاحبة أو باء استعانة؛ أي أنني من أول لحظة أقول له: يا رب لا تتركني، أريد أن أصحب اسمك طوال القرآن، فأنا أستعين بك يا رب من اللحظة الأولى، وأستفتح باسم الله سبحانه وتعالى، وأخص اسمين من الأسماء -ولست أنا من فعلت ذلك بل ربي سبحانه وتعالى هو الذي علمني- {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة: ٣]. وهذه البسملة في قول -وهو قول مُعتبر جدًا- أنها من الفاتحة، ويُفضل أن تقرأها حتى تخرج من الخلاف.

ثم قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي)، فهل تستحضر أنّ هذه السورة هي السورة الوحيدة التي كلما قرأت آيةً منها ردّ الله عليك؟، وهذا ليس موجودًا في سورة الكهف، ولا في يوسف، ولا البقرة، وإنما في الفاتحة وحدها.

فعندما تقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، يقول الله سبحانه وتعالى: (حمدني عبدي).

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، يقول الله سبحانه وتعالى: (أثنى علي عبدي).

{مَالِكِ يَوْمِ الدين}، يقول الله سبحانه وتعالى: (فوَّض إلي عبدي)، وفي رواية: (مجدني عبدي).

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، يقول الله سبحانه وتعالى: (هذا بيني وبين عبدي)، وهنا يوجد سر (هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل)، فكل ما سيطلبه عبدي بعد هذه المقدمة (لعبدي ما سأل)، فيطلب فورًا ما يريده وهو: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

قد تكلمنا عن فضائل سورة الفاتحة، والآن سنتكلم عن معانيها، وأريدك أن تبسط آياتها السبع أمامك.

فسورة الفاتحة تتكون من قسمين: مقدمة من الثناء، ثم خاتمة من الدعاء. وقد قال الإمام النووي في تفسيره لمعنى (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي): "قُسمت الفاتحة إلى نصفين؛ نصف ثناء، ونصف دعاء".

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدين}[الفاتحة: ٢-٤] هذا الثناء، ثم تأتي جملة في المنتصف تحدد الوِجهة والقِبلة وتراجع التعريف الخاص بك: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة: ٥]، وهذه الآية تفصل بين الثناء وبين الدعاء وهو: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة: ٦].

إذًا، فالفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن، ولم ينزل مثلها في التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو الفرقان، والتي هي أم الكتاب والسبع المثاني والرُقية والشفاء والكافية والصلاة، والأسماء الكثيرة الأخرى، كل هذا عبارة عن ملخص لطلب واحد، وهو طلب الهداية {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} وكل هذه العظمة وكل ما ذكر قبل هذه الآية كان مقدمة لها!

إذا قيل لك أن تختار دعاءً واحدًا ينبغي أن تطلبه وتكرره في كل ركعة وصلاة، فأنت قد تسيءُ الاختيار، لكن الله هو الذي اختار لنا هذا الدعاء، لأنه سبحانه وتعالى يعلم ما هو الخير لنا، ويعلم مدى حاجتنا للهداية، ويعلم مدى ضعفنا، ويعلم أن الشياطين -شياطين الإنس والجن- تحيط بنا، وأننا قد نسقط في سُبل الضلال، أو نقع في شهوة أو شبهة. فالإنسان يحتاج إلى الهداية لدرجة تجعله يطلبها في كل ركعة من صلاة.

وقد حبب الله إلينا سورة الفاتحة لهذه الفضائل، ولأننا بحاجة إلى الهداية، لكن ليس هناك طلب من دون مقدمات! وهذا هو الأدب مع الله سبحانه وتعالى، فكيف لك أن تدخل إلى باب الملك وتطلب مثل هذا الطلب العظيم، طلب الهداية الذي يحقق لك الخلود في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم، من دون أن تقدّم مقدمات. وعلى قدر الطلب وعِظمه ينبغي أن تكون المقدمات عظيمة ومركزة.

ما هي هذه المقدمات التي سنبدأ بها الدعاء، وما هي تفاصيل الدعاء؟ هذا ما سنشرحه في الحلقة القادمة بإذن الله سبحانه وتعالى.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يفتح علينا في فهم كتابه والعمل به.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.